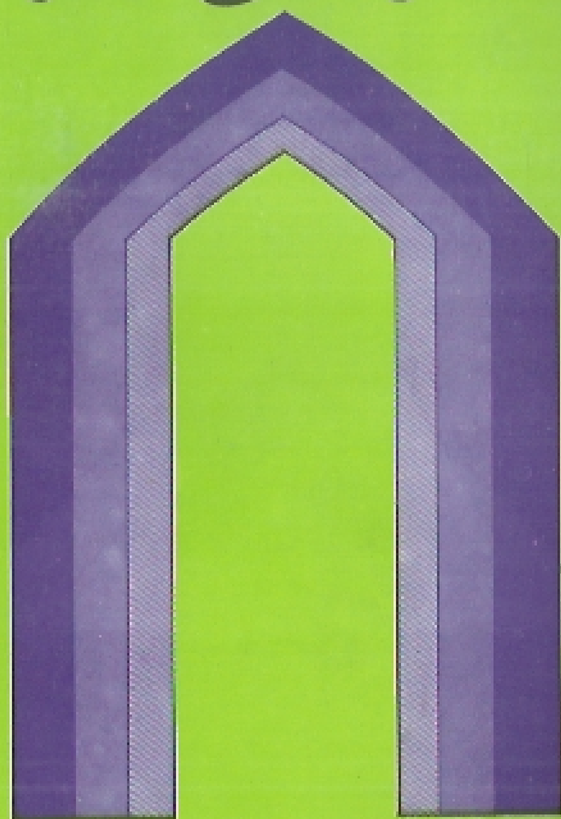
طرد الأفاعی

عن

حمیٰ هادر فع الرفاعی



ادارة المعارف النعمانیة

لاهور ـ پاکستان

بسم الله الرحمن الرحيم

طرد الأفاعی

عن

حمیٰ هادر رفع الرفاعی

للشیخ الإمام احمد رضا الحنفی
الافغانی ثم البریلوی قدس سره العزیز

تعریب:
ممتاز احمد سدیدی
(قاهره - مصر)

ملتزم الطبع والنشر
ادارة المعارف النعمانیة
لاهور - پاکستان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ ١٩٩٧م

أطلبوا هذه الرسالة من العنوان التالي

IDARA MAARIF-E-NOMANIA
323 - SHAD BAGH
LAHORE. P.C. 54900
PAKISTAN
PH : 6277838

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل الأنبياء والمرسلين وجعلهم خير وسيلة بينه وبين عباده التائهين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على المبعوث خاتم النبيين سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وأولياء أمته وعلماء ملته أجمعين. فإن جميع الأنبياء والرسل قاموا بمهمتهم فى عصورهم المختلفة وبذلوا فى سبيل الله كل ما فى وسعهم وتحملوا الكثير من المشاكل والمتاعب فى سبيل الدعوة والإرشاد ولكنهم رغم هذه المشاكل مازالوا مستمرين فى دعوتهم إلى الله حتى بعث سيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين ورحمة للعالمين إلى كافة الناس فقام بمسئوليته خير قيام حتى أنه أدى الأمانه وكشف الغمة وجلى الظلمة وجاهد فى سبيل الله، فقد تمت سلسلة النبوة و الرسالة بقدومه الميمون، فلا نبى بعده إلى يوم القيامة، ولكن الأولياء من علماء أمته مازالوا يرفعون رأية الإسلام عالية خفاقة فى أطراف العالم منذ أربعة عشر قرناً مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام «علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل» فقام هؤلاء الأولياء بمهمة نشر دعوة الإسلام التى جاء بها سيدهم وسيد الأنبياء كلهم ولم يغفلوا عن أداء مهمتهم فى عصر من العصور وتشرفوا بالمراتب العالية فى رحاب ربهم فرفع الله تبارك وتعالى بعضهم على بعض، وكانوا كنفس واحدة، يحترم أحدهم الأخر، ولا يتصور الإهانة للأخر كان هذا حالهم فى جميع الأزمان، ولكن الأمر المثير للأسف أن بعض الناس غير الملمين بالوعى العلمى أخذوا يفضلون البعض على بعض بدون حجة، وهذا مما لا فائدة فيه.

إن الله تبارك وتعالى أكرم سيدنا السيد أحمد كبير الرفاعى رحمه الله تعالى بالمراتب السامية والكرامات الجليلة الباهرة، ولكنه شرف سيدنا ومولانا

الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى بتكريم يفوق الوصف، فإن جميع الأولياء المعاصرين له والمتأخرين اعترفوا بمكانته الجليلة عند خالقه وبارئه، حيث أنهم حنوا رقابهم حينما قال سيدنا ومولانا الجيلاني: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»، وكان سيدنا الرفاعي رحمه الله تعالى أيضاً من بين كبار المعاصرين له من الأولياء، والذي وصفه بلقب سيد الأولياء،. والتفصيل كما يأتي في «طرد الأفاعي».

إن بعض المسلمين في الهند أثاروا قضية التفضيل بين كل من السيد أحمد كبير الرفاعي وسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمهما الله تعالى و زعموا بأفضلية السيد الرفاعي على سيدنا الجيلاني رحمهما الله تعالى، نظرا إلى خروج اليد النبوي الشريفة إليه من القبر الشريف في موسم الحج .

قام المصنف رحمه الله تعالى بمسئوليته بالأسلوب العلمي المتين، وكشف الغموض الذي كان في هذا الصدد فله من جميع أهل التصوف خير الجزاء، وأسأل الله تعالى أن يسمح للإمام خير الجزاء، وأن يتقبل هذا الجهد من المترجم وأن يسدد على الخير خطاه ويوفقه لما يحبه ويرضاه، و كذلك كل من ساهم في طبع هذه الرسالة. آمين

١ جمادي الآخره ١٤١٦هـ

وكتبه

محمد عبد الحكيم شرف القادري

خادم الحديث النبوي الشريف والعلوم الإسلامية

بالجامعة النظامية الرضوية، داخل بوابة لوهاري

بلاهور، باكستان

أضواء على حياة العلامة أحمد رضا القادري البريلوي

وخدماته العلمية والدينية

بقلم الداعية الإسلامي الكبير العلامة محمد أحمد المصباحي
المشرف على المجمع الإسلامي بمباركفور الهند

هو شيخ الإسلام والمسلمين (ت ،١٣٤٠هـ) مجدد الأمة الإمام أحمد رضا ابن الشيخ مولانا نقي علي خان القادري الحنفي البريلوي، كان من أكابر علماء الهند وتوابغ القرن الرابع عشر الهجري، يندر نظيره في عصره بل في عدة قرون ماضية، فإنه كان رئيس المفسرين وإمام المحدثين، وأفقه العلماء،، وأجود المتكلمين في المعاصرين . وكان له طول الباع في نحو خمسين علماً وفناً وصنف في جميعها فهذا مما تفرد به الشيخ فإن أحداً من المتقدمين لم يصنف في أكثر من خمسة وثلاثين فناً.

ولد في مدينة بانس بريلي بالهند الشمالية في العاشر من شهر شوال ١٢٢٣هـ الموافق ١٤ يونيو ١٨٥٦م. وتوفي في ٢٥ صفر عام ١٣٤٠هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٢١م وكان اليوم يوم الجمعة.

تشرف بزيارة الحرمين مرتين، مرة ٩٦ ـ ١٢٩٥هـ وأخرى ٢٤ ـ ١٣٢٣هـ فقام في مدة إقامته في الحجاز بالبحوث العلمية والمناقشات مع أكابر العلماء، وصنف عدة تصنيفات. واعترف علماء الحرمين الشريفين برئاسته في العلوم الإسلامية، ونوهوا بشأنه وأجلوه إجلالاً كبيراً. (١)

ومن أراد الإطلاع على تفصيل ما أعربه علماء الحرمين المكرمين من انطباعاتهم الجميلة الدالة على فقاهة الإمام أحمد رضا وذهنه الوقاد، وفكره

البالغ، فليراجع إلى الكتب التالية، فكلها مطبوعة توجد فى المكتبات والنوادى العلمية:

(١) فتاوى الحرمين برجف ندوة المين (١٣١٧هـ)

(٢) حسام الحرمين على منحر الكفر والمين (١٣٢٤هـ)

(٣) الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة (١٣٢٤هـ)

(٤) كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم (١٣٢٤هـ)

(٥) الفاضل البريلوى كما يراه علماء الحجاز - بالأردية - للبروفيسور محمد مسعود أحمد المجددى

ومن أحسن الدلائل على مقدرته الهائلة على خمسين فناً مؤلفاته فيها (٢). فإن تصانيفه ليست جمعاً وتلفيقاً واجتناءً من الكتب السابقة فحسب. مثل مؤلفات بعض المصنفين من معاصريه. بل هى تزخر وتتدفق بأبحاث وتحقيقات وإفادات وإفاضات لم يسبق إليها لم يسمع بها قلم ولا كتاب.

منها مجموعة كبرى لفتاواه فى إثنى عشر مجلداً. كل مجلد يحتوى على نحو ألف صفحة. تسمى «بالعطاياالنبوية فى الفتاوى الرضوية» تدل على سعة اقتداره فى الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية والعقلية كما لا يخفى على من تشرف بمطالعتها.

كانت له ملكة استنباط الأحكام فى المسائل الحديثة التى لا يوجد فيها نص من القدماء، وإذا وجد النص تورع عن الإستنباط من القران والحديث. إلا لحاجة تدعوا إليه. يقول: ليس للمقلد أن يجتهد ويستنبط من الأصلين. بل عليه أن يقتنع بما بينه أئمة المذهب وبما صححه ورجحه الفقهاء. ومن أراد شيئاً من تفصيل عبقريته فى الفقه والأصول فليراجع إلى مقدمة الأستاذ افتخار أحمد القادرى على جد الممتار (٣) للإمام أحمد رضا ومقدمتى عليه.

وقصارى القول أنه لا يوجد فى تاريخ الفتاوى أى مجموعة أجل وأعظم من العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية. ولا يعدها أرباب العلم والفتوى فى درجة الفتاوى بل هى معدودة فى درجة الشروح المعتبرة الجليلة. ورأى العلامة السيد أسماعيل خليل حافظ مكتبة الحرم المكى بعض فتاوى الإمام فكتب إليه: «والله أقول والحق أقول أنه لو رآها أبو حنيفة النعمان لأقرت عينه، ولجعل مؤلفها من جملة الأصحاب» (٤)

والجدير بالذكر أنه على الرغم من تمكنه من العلوم الكثيرة كان شاعراً مجيداً. مع أن الإجادة فى الشعر والنثر معاً ندرت منذ قديم الزمان، أما الإجادة فى النثر والنظم مع الإجادة فى البحوث العلمية الدقيقة فأقل وأندر.

يمتاز شعره بالطابع الإسلامى والفكر الدينى، وتتجلى فيه الروعة الأدبية والبراعة الفنية، ويتقوى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونصوص الأئمة، وإلى جانب ذلك فكره القويم وذوقه السليم، وكل ذلك يعجب الأسماع، وينشط الأذهان وينير الأفكار ويهز المشاعر ويرهف العواطف.

وأكثر شعره فى المديح النبوى و ليس ذلك إلا لعميق صلته بالنبى صلى الله عليه وسلم وتمكن حبه الكريم على سواد، قلبه. فكان لا يكاد يمسك ما فى ضميره من عواطف الحب ودواعى التعظيم والإجلال فتتشكل صورة الشعر. ومع ذلك لا يوجد فى أى بيت له غلو ولا تقصير، ولا أى لفظ مما لا يحسن استعماله فى حضرة النبى الكريم عليه أفضل الصلوة وأكرم التسليم.

وأما أفكاره العالية وتخييلاته الدقيقة ومعانيه النبيلة فمما لا يحول دونه فكر أحد من الشعراء الأجلة المعاصرين.

وقد طبعت مجموعة شعره «حدائق بخشش (١٣٢٥هـ)» وعنى بها

الشعراء العادلون والأحبار الناقدون فى الهند وباكستان . أكثرها بالأردية وقليل منها بالفارسية لكنها تكفى شهادة لبراعته فى الشعر الفارسى . أما شعره العربى فلم يجمع . نعم يوجد منه قليل متفرق فى بعض تصانيفه كالفتاوى الرضوية والطارئ الدارى وغيرهما.

وأحسن طريق لمن أراد البحث عن نبوغ الإمام أحمد رضا فى العلوم والفنون أن يطالع تصانيفه الجليلة مطالعة عميقة أنيقة. فانه سيجد أكثر وأبلغ مما وصفناه ويستخرج كنوزاً من الحقائق الثمينة والمعارف الغالية والأبحاث المتينة والأفكار الدقيقة مع قلة المبانى وكثرة المعانى.

والله الموفق للخير وبنعمته تتم الصالحات.

المراجع

(١) تذكرة علماء الهند . بالفارسية للمولوى رحمان على . ص١٦، ودائرة المعارف الإسلامية ج١ كراسة ٥ص ٢٨٠ . وملفوظاته المرتبة . جد الممتاز على رد المختار . النسخةالمخطوطة للمجمع الإسلامى بمبار كفور ج١، ص٢٢ كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم ص١٥٧ . ١٥٨ .

(٢) من أراد الوقوف على مصنفات الإمام فليراجع إلى:

(أ) المجمل المعدد لتأليفات المجدد للعلامة ظفر الدين البهارى. (ب) مرآة التصانيف . للأستاذ عبد الستار السعيدى . يطلب من المكتبة القادرية بلاهور(ج) وتصانيف رضا. للأستاذ عبد المبين النعمانى . سيطبع أن شاء الله تعالى . و يطلب من المجمع الإسلامى بمبار كفور الهند.

(٣) حاشية على رد المختار للعلامة محمد أمين الشامى ويطبع مجلده الأول تحت إشراف المجمع الإسلامى بمباركفور الهند.

(٤) الإجازات المتينة ص ٢٥ من مجموعة الرسائل الرضوية ج٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلى على رسوله الكريم ، أما بعد فيقول الله عز وجل : قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (آل عمران ٧٣) نجد هذه الآية الكريمة تشير إلى الأمرين التاليين تنبيها لكافة المسلمين.

أحدهما : أن لا يفضل المسلم أحدا من الصالحين المقبولين فى رحاب رب العالمين على غيره من أولياء الله وذلك نظرا إلى رأيه الشخصى.

ثانيهما : عدم اتباعه هواه عند التفضيل نظرا إلى نسب رجل صالح أو التلمذ على يده أو العلاقة الروحية معه لأن الفضل ليس بأيدينا بل إنه بيد الله فقط، ولذا لا ينبغى لنا أن نفضل آبائنا وأساتذتنا ومشائخنا على الآخرين ، فإن الأفضل من فضله الله تعالى ولولم تكن به صلتنا ، والمفضول من جعله الله مفضولا مهما كانت به صلاتنا . وهذا هو معيار التفضيل الصادق الذى ينبغى علينا أن نلتزم به.

وفى هذا المنطلق لو رأينا السلف الصالح لوجدناهم كانوا يفضلون من أعطاه الله الفضل . هنا يطرح السؤال نفسه هل يفرح المفضلون بمتبعيهم الذين يفضلونهم على الآخرين بلا أساس؟ كلا بل إنهم يغضبون عليهم أشد الغضب فإذن ما فائدة هذا التفضيل الذى يخالف المعيار الإلهى ويؤدى إلى غضب أسلافنا؟

مما لا شك فيه أن صاحب الفضيلة سيدنا السيد أحمد كبير الرفاعى قدسنا الله تعالى بسره الكريم كان من كبار الأولياء الصالحين وأعاظم المقبولين فى رحاب رب العالمين، حيث يقول الإمام الأجل سيدى أبو الحسن على بن يوسف نور الملة والدين اللخمى الشطنوفى قدس سره العزيز فى هذا الشأن :

«الشيخ أحمد بن أبى الحسن الرفاعى رضى الله تعالى عنه من أعيان مشائخ عراق، وأجلاء العارفين، وعظماء المحققين، وصدار المقربين، صاحب المقامات العلية، والجلالة العظيمة، والكرامات الجليلة، والأحوال السنية، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، صاحب الفتح المونق، والكشف المشرق، والقلب الأنور، والسر الأظهر والقدر الأكبر» (بهجة الأسرار ص ٢٢٥)

وكذلك أشار الإمام الشطنوفى إلى مراتب سيدنا الأمام الرفاعى العالية ومناقبه السامية وكراماته البديعة وفضائله الرفيعة فى أربع صفحات من كتابه بهجة الأسرار.

سيدنا الرفاعى رحمه الله تعالى حينما حضرإلى روضة النبى (ﷺ) وقف تجاه الحجرة الشريفة قائلا :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها — تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
هذه دولة الأشباح قد حضرت — فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فظهرت يد النبى صلى الله عليه وسلم فقبلها سيدنا الرفاعى رحمه الله تعالى وقد أشار إلى نفس القصة الإمام الجليل السيوطى حيث قال : فى بعض المجاميع حج سيدى أحمد الرفاعى فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد: .

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها — تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
هذه دولة الأشباح قد حضرت — فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت إليه اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها (تنوير الحلك برؤية النبى والملك ص ٤٨)

وقد حدثت نفس الكرامة الجليلة بعينها على يد سيدنا الغوث الأعظم الجيلانى حيث وردت فى «تفريح الخاطر فى ترجمة سيدى الشريف عبدالقادر» كما يأتى : .

«ذكر أن الغوث الأعظم رضى الله تعالى عنه جاء مرة إلى المدينة المنورة وقرأ بقرب الحجرة الشريفة هذين البيتين (فذكرهما كما مر وقال) فظهرت يده صلى الله تعالى عليه وسلم فصافحها وقبلها ووضعها على رأسه رضى الله تعالى عنه» (ص٣١)

وليس هناك مانع من تكرار الكرامة المذكورة فقد حج سيدنا الإمام الغوث الأعظم الجيلانى أول مرة سنة ٥٠٩هـ وكان رحمه الله تعالى وقتئذ ابن ٣٨ سنة، وقد رافقه فى سفره هذا سيدنا عدى بن مسافر رضى الله تعالى عنه، وكان سيدى أحمد كبير الرفاعى صغير السن آنذاك فى قرية أم عبيدة بالعراق وهو ابن ١١سنة (١)

يفهم مما سبق أن هناك تعارض بين هاتين الروايتين ظاهرا ويمكن لنا أن نقوم بدفعه حيث أن سيدنا الإمام الغوث الأعظم الجيلانى فى تلك الرحلة قرأ هذين البيتين تجاه الحجرة النبوية الشريفة فأكرمه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمد يده فتشرف سيدنا الإمام الغوث الأعظم بتقبيلها، وعندما شب سيدنا الرفاعى رضى الله تعالى عنه حضر إلى الحجرة النبوية الشريفة حيث قرأ هذين البيتين

أما قول القائل بأن سيدنا الجيلانى بايع على يد السيد الرفاعى رضى الله تعالى عنهما فإنه بدون دليل، والصدق يطلب الحجة والبرهان كما ورد فى

---

(١) ذهب ابن خلكان أنه لم يكن متولدا حينئذ، وأكثر ما يمكن أن يقال أنه كان ابن شهور عديدة وقتئذ حيث قال : أحمد ابن أبى الحسن المعروف بابن الرفاعى، توفى يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بأم عبيدة وهو فى عشرة سنين رحمه الله تعالى ولكن حسب رواية بهجة الأسرار الآتية يقدر عمره بسبعة أو ثمانية سنين وأقصى الحد فى تقدير عمره أنه كان ابن عشرة سنين لعام ٥٠٩هـ والله تعالى أعلم ١٢ منه غفر له

الآية قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (البقرة: ١١١) فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (النور ١٣) ويفهم من عدم تمكنهم على إتيان الدليل على المبايعة المذكورة أن كلامهم مبنى على الافتراء، والكذب فأولئك عند الله هم الكاذبون، وقد خاب من افترى.

ومن ينكر قطبية سيدنا الرفاعى الرفيع؟ نال القطبية سيدى على بن الهيتى بعد وفاة سيدنا الجيلانى وتوفى بعده بثلاثة سنين سنة ٥٦٤هـ ثم تشرف سيدنا خليل الصرصرى بالقطبية ببركة سيدنا الشيخ الجيلانى ثم سيدنا الرفاعى رضى الله عنهم أجمعين حيث توفى سنة ٥٧٨هـ

فقد ورد ذكر قطبية سيدى على بن الهيتى فى بهجة الأسرار بالألفاظ الأتية : «الشيخ على بن الهيتى رضى الله تعالى عنه أحد من يذكر عنهم القطبية، سكن بأم عبيدة بلدة من أعمال نهر الملك إلى أن مات بها سنة ٥٦٤هـ»

وورد فيه عن قطبية سيدنا الرفاعى كالأتى : الشيخ أحمد بن أبى الحسين الرفاعى أحد من تذكر عنه القطبية. سكن بأم عبيدة قرية بأم البطائح إلى أن مات بها فى سنة ثمان وسبعين وخمس مائة وقد ناهض الثمانين. (بهجة الأسرار ٣٣٥ ، ٣٣٧)

حضرة الشيخ جاكير (أحد كبار المريدين للشيخ أبى الوفا، تاج الدين) بعدما تحدث عن المنزلة الرفيعة لسيدنا الغوث الأعظم الجيلانى قال : منه انتقلت القطبية الى سيدى على بن الهيتى رضى الله تعالى عنه (بهجة الأسرار ١٦٩)

وفيه الإشارة إلى قطبية الشيخ خليل بن الصرصرى حيث قال الإمام الشطنوفى :

«أخبرنا الشيخ الشريف أبو جعفر محمد بن أبى القاسم العلوى الحسنى قال : أخبرنا الشيخ العارف أبو الخير بن المحفوظ قال : كنت أنا وفلان وفلان (عد عشرة أنفس من طالبى الآخرة وثلاثة من أهل الدنيا) حاضرين عند شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنهم فقال : ليطلب كل منكم حاجة لأعطيها له، فذكروا حوائجهم. منها قال الشيخ خليل بن الصرصرى أريد ألا أموت حتى أنال مقام القطبية، قال: فقال الشيخ عبدالقادر رضى الله تعالى عنه: كلا نمد هؤلاء ، وهؤلاء ، من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا. قال : فوالله لقد نالوا كلهم ما طلبوا» (بهجة الأسرار)

أضاف الإمام الشطنوفى إلى هذا قائلا : عن سيدى أبى عمرو عثمان بن يوسف وعلى بن سليمان الخباز والشيخ أبى الغيث بن جميل اليمنى رضى الله عنهم أنهم قالوا : قطب الشيخ خليل الصرصرى قبل موته بسبعة أيام (بهجة الأسرار).

إن هذه القطبية بمعنى الغوثية، وقد يقصد بالأقطاب أصحاب الخدمة الموجودين فى جميع البلاد والجنود ، ولا شك أن كل غوث سيد لجميع أقطاب عصره وأوليائه ففى هذا الإطار كل من هو قطب بمعنى الغوث هو قطب الأقطاب ، وقد يقصد بكلمة قطب الأقطاب رئيس أصحاب المناصب والخدمة من هو دون قطب الأقطاب ، ولكن قطب الأقطاب نظرا إلى معنى الغوثية هو غوث الأغواث وسيدهم فى جميع الأزمنة، وهذا هو القطب الذى يشرف غيره بمرتبة الغوثية فى عصور مختلفة وممن تشرف بهذه المرتبة العظمى بعد عصر سيدنا ومولانا الإمام حسن رضى الله تعالى عنه هو محيى الشريعة والطريقة والحقيقة والدين، ولى الأولياء، إمام الأفراد، غوث الأغواث، غوث الثقلين وغوث الكل، الغوث الأعظم أبو محمد السيد الشيخ عبدالقادر الحسنى الحسينى الجيلانى

رضى الله تعالى عنه، ولا تزال هذه المرتبة العظمى مختصة به حتى يتم ظهور سيدنا الإمام المهدى رضى الله تعالى عنه.

وإن تفضيل حضرة السيد الرفاعى رحمه الله تعالى وأمثاله من الأولياء الأقطاب على سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلانى فكرة زائغة والعياذ بالله تعالى منها، ولتوضيح رأينا نأتى ببعض الروايات مرفوعة الأسانيد من بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للإمام أبى الحسن على الشطنوفى قدس سره العزيز والذى كان بينه وبين فضيلة غوث الأغواث واسطتان فقط والتفصيل كالآتى :

قد تتلمذ وسمع الشيخ الشطنوفى عن محدث جليل القدر أبى بكر محمد بن الإمام الحافظ تقى الدين الأنماطى عن الإمام الجليل الشهير بالعلامة موفق الدين ابن قدامة المقدسى عن قطب الأقطاب حضرة غوث الثقلين حضرة الغوث الأعظم رضى الله تعالى عنه

وسمع عن قاضى القضاة الإمام إبراهيم بن عبد الواحد المقدسى عن نقيب السادة الأشراف الإمام أبى القاسم هبة الله بن منصور عن سيد السادة الأشراف الغوث الأعظم الجيلانى

وسمع عن الشيخ جنيد أبى محمد حسن بن على اللخمى عن أبى العباس أحمد بن على الدمشقى عن السيادة الجيلانية.

وسمع عن الإمام صفى الدين خليل بن أبى بكر المراغى والإمام عبدالواحد بن على بن أحمد القرشى وهما عن الإمام الأجل أبى النصر موسى عن والده الفاخر الماجد سيدنا الغوث الأعظم الجيلانى رضى الله تعالى عنهم أجمعين

وإلى جانب هذه الأسناد عدة طرق ثانية إلى سيادة غوث الأغواث الجيلانى للإمام الجليل على الشطنوفى المتوفى سنة ٤١٣هـ واعترف الأئمة الأجلاء بإمامته ومكانته منهم إمام فن الرجال الشيخ شمس الدين الذهبى ورأيه عن الإمام الشطنوفى يعتبر مقبولا لأسباب تالية.

أولاً : لأجل نظره الدقيق فى الرجال وخبرته الرفيعة فى هذا الصدد

ثانيا : لقلة اعتقاده البالغ فى المشائخ الصوفية وعلومهم الإلهية حيث أنه متجانب عنهم بالكلية تقريبا.

ثالثا : لمعاملته المعروفة مع الأشاعرة، حيث صرح تلميذه الأجل الإمام تاج الدين السبكى بن الإمام الأجل بركة الأنام تقى الملة والدين على بن عبد الكافى قدس سرهما بقوله : «شيخنا الذهبى إذا مرّ بأشعرى لا يبقى ولا يذر» وكان صاحب بهجة الأسرار أشعريا

رابعا : المعاصرة دليل المنافرة وكان الإمام الذهبى معاصرا للإمام على الشطنوفى

إن الإمام الذهبى قد حضر بأحد مجالس الإمام الشطنوفى فامتدحه كنتيجة لهذا المجلس ولقبه بالإمام الأوحد فى كتابه طبقات المقرئين، وهذا اللقب يستوعب جميع مدائح العلماء، ومدارج توثيقهم وتعديلهم واعتمادهم رغم كونه مشتملا على كلمتين فقط وإليكم النص كالآتى :

على بن يوسف بن جرير اللخمى الشطنوفى، الإمام الأوحد، المقرى، نور الدين شيخ القراء بالديار المصرية، أبو الحسن، أصله من الشام ومولده بالقاهرة سنة ٦٤٤هـ وتصدر للإقراء، والتدريس بالجامع الأزهر، وقد حضرت إقرائه

واستأنست بسمته وسكوته.

يقول الإمام الجليل عبدالله بن أسعد اليافعى قدس سره الشريف فى شأن الغوث الأعظم الجيلانى رضى الله تعالى عنه : أما كراماته رضى الله تعالى عنه فخارجة عن الحصر وذكرت شيئا منها فى كتاب نشر المحاسن، وقد أخبرنى من أدركت من أعلام الأئمة الأكابر أن كراماته تواتر أو قرب من التواتر، ومعلوم بالاتفاق أنه لم يظهر ظهور كراماته لغيره من شيوخ الآفاق، وها أنا أقتصر من هذا الكتاب على واحدة منها وهى ما روى الشيخ الإمام الفقيه المقرئ أبو الحسن على بن يوسف بن جرير بن معضاد الشافعى اللخمى فى مناقب الشيخ عبدالقادر رضى الله تعالى عنه بسنده من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ الأجلة، أعلام الهدى، العارفين (سيدى عمر الكيمانى، وسيدى عمر بزار، وسيدى أبو السعود المدلل، وسيدى أبو العباس أحمد الصرصرى، والإمام الجليل تاج الملة والدين أبو بكر عبدالرزاق، وسيدى أبو عبدالله محمد بن أبى المعالى بن قائد الأوانى رضى الله تعالى عنهم أجمعين) قالوا :

جاءت إمرأة بولدها (إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى) قالت له: انى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك، وقد خرجت عن حقى فيه لله عز وجل ولك، فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك طريق السلف، فدخلت أمه عليه يوما فوجدته نحيلا مصفرا من آثار الجوع والسهر ووجدته يأكل فى قرص من شعير فدخلت إلى الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها فقالت : يا سيدى تأكل الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير فوضع يده على تلك العظام وقال: قومى بإذن الله الذى يحيى العظام وهى رميم، فقامت دجاجة سوية فصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل مهما شاء.

قالوا: ومرت على مجلسه حدأة طائرة فى يوم شديد الريح، فصاحت فشوشت على الحاضرين، فقال ياريح خذى رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها بناحية ورأسها فى ناحية، فنزل الشيخ من الكرسى وأخذها فى يده وأمر يده الأخرى عليها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم، فحيت بإذن الله وطارت والناس يشاهدون ذلك (بهجة الأسرار ص ٦٥).

يقول الإمام المحدث شيخ القرا، شمس الملة والدين أبو الخير محمد الجزرى رحمه الله تعالى مشيرا إلى مرتبة الإمام على الشطنوفى وتاليفه فى مناقب الإمام الجيلانى والنص كما يأتى :

«على بن يوسف بن جرير بن فضل بن معضاد نور الدين أبو الحسن اللخمى الشطنوفى الشافعى، الأستاذ المحقق البارع شيخ الديار المصرية، ولد بالقاهرة سنة ٦٤٤هـ وتصدر للإقرا، بالجامع الأزهر وتكاثر عليه الناس لأجل الفوائد والتحقيق، وبلغنى أنه عمل على الشاطبية شرحا فلو كان ظهر لكان من أجود شروحها، وله تعاليق مفيدة، قال الذهبى : وكان ذا غرام بالشيخ عبدالقادر الجيلى رضى الله تعالى عنه جمع أخباره ومناقبه فى ثلاث مجلدات، قلت وهذا الكتاب موجود فى القاهرة بوقف الخانقاه الصلاحية. وأخبرنى به وأجازنى شيخنا الحافظ محيى الدين عبدالقادر الحنفى وغيره، توفى يوم السبت أوان الظهر، دفن يوم الأحد العشرين من ذى الحجة سنة ٧١٣هـ رحمه الله تعالى (نهاية الدرايات فى أسماء رجال القرا،ات)

وقد كتب الإمام عمر بن عبدالوهاب الحلبى فى نسخته المباركة لبهجة الأسرار:

«وقد تتبعتها فلم أجد فيها نقلا إلا وله فيه متابعون، وغالب ما أورده فيها نقله اليافعى فى أسنى المفاخر وفى نشر المحاسن وروض الرياحين (وقال

المصنف رحمه الله تعالى لتكميل الكلام) وشمس الدين الزكى أيضا «فى كتاب الأشراف» وأعظم شئ نقل عنه أنه أحيى الموتى كإحيائه الدجاجة، ولعمرى إن هذه القصة نقلها تاج الدين السبكى ونقل عن ابن الرفاعى وغيره، وأنى لغبى جاهل حاسد ضيع عمره فى فهم ما فى السطور. وقنع بذلك عن تزكية النفس وإقبالها على الله سبحانه وتعالى أن يفهم ما يعطى الله سبحانه أوليائه من التصريف فى الدنيا والأخرة ولهذا قال الجنيد (رضى الله تعالى عنه) التصديق لطريقتنا ولاية الخ.

أقول بحمد الله تعالى إن كل ما سبق يصدق قول الإمام على الشطنوفى قدس سره العزيز فى خطبة بهجة الأسرار حيث قال : «لخصته كتابا مفردا مرفوع الأسانيد معتمدا فيها على الصحة دون الشذوذ»

قد قصد الإمام الشطنوفى بقوله هذا بأنه أفرد الكتاب ونقحه بالأسانيد المتصلة واعتمد على الأسانيد الصحيحة المشهورة البريئة من الشذوذ والضعف والغرابة يقول الإمام جلال الملة والدين السيوطى رحمه الله تعالى بشأن الإمام الشطنوفى:

على بن يوسف بن جرير اللخمى الشطنوفى، الإمام الأوحد، نور الدين أبو الحسن، شيخ القراء بالديار المصرية، ولد بالقاهرة سنة ٦٤٤هـ وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، وتكاثر عليه الطلبة، مات فى ذى الحجة سنة ٧١٣هـ (حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ص . ٢٩)

يوضح فضيلة الشيخ المحقق الإمام عبدالحق المحدث الدهلوى مرتبة الإمام على الشطنوفى وتاليفه: فيقول: «بهجة الأسرار من تصانيف الإمام الأجل الفقيه العالم المقرئ الأوحد نور الدين أبى الحسن على بن يوسف

الشافعى اللخمى ليس بينه وبين سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلانى غير الواسطتين «زبدة الأسرار»

ويقول فى موضع آخر بشأن بهجة الأسرار ومصنفه: الكتاب الحبيب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار كتاب معتمد مشهور جدا ومصنفه من العلماء والمشايخ المشهورين وله فى أسانيده واسطتان إلى سيادة الشيخ الجيلى رضى الله تعالى عنه و هو مقدم على الإمام عبدالله اليافعى رحمه الله تعالى الذى هو من المحبين المنتسبين إلى سيدنا الغوث الأعظم الجيلانى «صلاة الأسرار»

حكى الإمام عبدالحق المحدث الدهلوى عن نفسه قائلا : كان هذا العبد الفقيرفى المكة المكرمة عندالشيخ الأجل الأكرم الأعدل الشيخ عبدالوهاب المتقى أحد المريدين للإمام الجليل الشيخ على المتقى قدس الله سرهما سمعته يقول : «بهجة الأسرار كتاب معتمد عليه عندنا وقد قمنا بمقارنته مع النسخ الأخرى» وكان من عاداته مقارنة الكتاب مع نسخه الأخرى إذ وجده مفيدا وعندما قابلته كان مشغولا فى المقارنة»

فى ضوء أقوال العلماء الأجلاء اتضحت مرتبة الإمام الشطنوفى وتأليفه والحمد لله وخلاصة كلامهم أن الإمام أبا الحسن نور الدين مؤلف بهجة الأسرار إمام أجل وأوحد، وفقيه بارع ومحقق دقيق، وشيخ القراء والعلماء والمشائخ، وهو من العلماء المشهورين وتأليفه هذا معتمد عليه ومستند إليه حتى أخذ الأئمة الكبار إجازته وأجازوا به مثل إجازة كتب الحديث ومرتبة هذا الكتاب فى مناقب السيادة الغوثية الجيلانية مثل مرتبة موطأ الإمام مالك فى الحديث ومكانته فى مناقب الأولياء الصالحين لصحة أسانيده مثل مكانة الصحيح البخارى فى كتب الحديث. وقد ورد فى الصحاح بعض الأحاديث الشاذة أيضا ولكن الإمام الشطنوفى اهتم بالصحة وعدم الشذوذ والحمد لله رب العالمين.

هذا الإمام الأجل الأوحد جاء في كتابه هذا بالروايات الصحيحة في مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى . فإنا اخترنا هنا إحدى عشر رواية حسب العدد القادري المبارك لتحصل بركات الدارين بإذن الله تعالى وبالله التوفيق.

الأولى : قال (الإمام على الشطنوفي) رضى الله تعالى عنه : حدثنا أبو محمد سالم الدمياطي قال : أخبرنا الأشياخ الصلحاء، قداة العراق الشيخ أبو طاهر بن أحمد الصرصري، والشيخ أبو الحسن الخفاف البغدادي، والشيخ أبو حفص عمر البريدي، والشيخ أبو القاسم عمر الداني، والشيخ أبو الوليد زيد بن سعيد، والشيخ أبو عمرو عثمان بن سليمان، قالوا : أخبرنا الشيخان أبو الفرج عبدالرحيم وأبو الحسن على، إبنا أخت الشيخ القدوة أحمد الرفاعي رضى الله تعالى عنه قالا : كنا عند شيخنا الشيخ أحمد بن الرفاعي بزاويته بأم عبيدة فمد عنقه وقال : «على رقبتي» فسألناه عن ذلك فقال : قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد : قدمى هذه على رقبة كل ولى لله (بهجة الأسرار ص ١٣)

الثانية : قال (الإمام على الشطنوفي) قدس سره : أخبرنا الشريف الجليل أبو عبدالله محمد بن الخضر الحسيني الموصلي، قال : أخبرنا الشيخ أبو الفرج عبد المحسن بن محمد المقرى، قال : قال الشيخ أبو بكر عتيق بن أبي الفضل البغدادي زرت الشيخ سيدى أحمد بن أبي الحسن الرفاعي رضى الله تعالى عنه بأم عبيدة، فسمعت أكابر أصحابه وقدماء مريديه يقولون : كان الشيخ يوما جالسا في هذا الموضع وأشاروا لموضع بالرواق فحنا رأسه وقال : «على رقبتي» فسألوه عن ذلك فقال : قد قال الشيخ عبدالقادر الآن ببغداد قدمى هذه على رقبة كل ولى لله فأرخنا ذلك

الوقت فكان كما قال في ذلك الوقت بعينه (بهجة الأسرار ص ١٣)

الثالثة : قال (الإمام الشطنوفي) أخبرنا الفقيه الجليل أبو غالب رزق الله بن محمد بن يوسف الرقي، قال : أخبرنا الشيخ الصالح أبو إسحاق الرقي، قال : أخبرنا منصور قال أخبرنا الشيخ القدوة أبو عبدالله محمد بن ماجد الرقي.

الرابعة والخامسة (١) : أخبرنا أيضا عاليا أبوالفتوح نصر الله بن يوسف بن خليل البغدادي المحدث، قال : أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي قال : أخبرنا الشيخان أبو المظفر منصور بن المبارك والإمام أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن الأصبهاني قالوا : سمعنا السيد الشريف الشيخ القدوة أبا سعيد القيلوي رضى الله تعالى عنه يقول: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تجلى الحق عزوجل على قلبه وجائته خلعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، على يد طائفة من الملائكة المقربين وألبسها بمحضر من جميع الأولياء، من تقدم منهم ومن تأخر، الأحياء بأجسادهم والأموات بأرواحهم وكانت الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسهم، واقفين في الهواء، صفوفاً حتى استد الأفق بهم، ولم يبق ولى في الأرض إلا حنا عنقه (بهجة الأسرار ص ١٨.٩)

السادسة: قال (الإمام الشطنوفي) أعلى الله تعالى مقاماته: أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد وخلف بن أحمد بن محمد الحريمي قال: أخبرنا محمد بن خلف قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم بن أبي بكير بن أحمد

---

(١) هاتان روايتان لقوله أخبرنا الشيخان أبو المظفر المنصور بن المبارك والإمام أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن الوجهاني ١٢ محمد عبد الحكيم شرف القادري

ال: سمعت الشيخ خليفة رضى الله تعالى عنه وكان كثيرا لرؤيا رسول الله سلى الله تعالى عليه وسلم يقول: لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم فقلت: يا رسول الله قد قال الشيخ عبد القادر: «قدمى هذه على رقبة ل ولى لله» فقال: صدق الشيخ عبد القادر وكيف لا وهو القطب وأنا أرعاه

بهجة الأسرار ص ١٠)

يقول العبد الفقير (الشيخ أحمد رضا الحنفى القادرى) الحمد لله الذى مر سيدنا الغوث الأعظم الجيلانى رضى الله عنه بهذا القول، وتجلى على قلبه لمبارك حيث جائته الخلعة المباركة من الرسول صلى الله عليه وسلم و أجمع لأوليا ء الأولون والآخرون فألبست هذه الخلعة لمحضرهم وملائكة الله ورجال لغيب، وقد حنى الأوليا ء رقابهم تكريماً لقدمه رضى الله تعالى عنه، فالذين رضون بهذا لهم مرضاة ربهم والذين لا يرضون بهذا التكريم الإلهى وهم حاسدون فلهم السخط قل لهم : موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور.

السابعة: قال (الإمام الشطنوفى) بيض الله وجهه: حدثنا الحسن ن نجيم الحورانى قال: أخبرنا الشيخ العارف على بن إدريس اليعقوبى قال سمعت الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه يقول: الإنس لهم مشائخ والجن لهم مشائخ والملائكة لهم مشائخ وأنا شيخ الكل. قال وسمعته فى مرض موته يقول لأولاده: بينى وبينكم وبين الخلق كلهم بعدما بين السمـاء والأرض لا تقيسونى بأحد (بهجة الأسرار ص ٣٣) صدقت يا سيدنا وأنت والله الصادق لمصدوق.

الثامنة: قال (الإمام الشطنوفى) طيب الله تعالى ثراه، أخبرنا بو المعالى صالح بن أحمد المالكى قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن البغدادى لمعروف بالخفاف والشيخ أبو محمد عبد اللطيف البغدادى المعروف بالمطرز،

قال أبو الحسن: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو السعود أحمد بن أبى الحريمى سنة ثمان وخمسمائه وقال أبو محمد أخبرنا شيخنا عبد الغنى بن نقطه، قال: أخبرنا شيخنا أبو عمرو عثمان العرقينى قالا: والله ما أظهر الله تعالى ولا يظهر إلى الوجود مثل الشيخ محيى الدين عبد القادر رضى الله تعالى عنه.

التاسعة: قال (الإمام الشطنوفى) رفع الله كتابه فى عليين: أخبرنا الشيخ أبو المحاسن يوسف بن أحمد البصرى قال سمعت الشيخ العالم أبا طالب عبد الرحمن بن محمد الهاشمى الواسطى قال سمعت الشيخ القدوة جمال الدين أبا محمد بن عبد البصرى بها يقول وقد سئل عن الخضر عليه الصلاة والسلام أحى هو أم ميت؟ قال: أجتمعت بأبى العباس الخضر عليه الصلاة والسلام، قلت أخبرنى عن حال الشيخ عبد القادر، قال: هو فرد الأحباب وقطب الأوليا ء فى هذا الوقت ما أوصل الله تعالى بها إلى مقام إلا وكان الشيخ عبد القادر أعلاه، ولا سقى الله تعالى حبيبا كأساً من حبه إلا وكان للشيخ عبد القادر أهناه ولا وهب الله لمقرب حالا وكان للشيخ عبد القادر أجله، وقد أودعه الله تعالى سراً من أسراره سبق به جمهور الأوليا ء، وما أتخذ ولياً كان أو يكون إلا وهو متأدب معه إلى يوم القيامة (بهجة الأسرار ١٧٣)

العاشرة: قال (الإمام الشطنوفى) رفع الله تعالى درجاته فى الجنة: أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن الخضر الحسينى الموصلى قال: سمعت أبى يقول: كنت جالساً بين يدى سيدى الشيخ محيى الدين عبد القادر رضى الله تعالى عنه فخطر فى قلبى زيارة الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه، فقال لى الشيخ أتحب زيارة الشيخ أحمد؟ قلت: نعم، فأطرق ثم قال لى: يا خضرها الشيخ أحمد فإذا أنا بجانبه فرأيت شيخاً مهاباً فقمت إليه وسلمت عليه فقال لى: يا خضر ومن يرى مثل الشيخ عبد القادر سيد الأوليا ء، يتمنى

رؤية مثلي وهل أنا إلا من رعيته " ثم غاب وبعد وفات الشيخ إنحدرت من بغداد إلى أم عبيدة لأزوره فلما قدمت عليه إذا هو الشيخ الذى رأيته فى جانب الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه، فى ذلك الوقت لم تجدد رؤيته عندى زيادة معرفة به فقال لى: يا خضر ألم تكفك الأولى؟ (بهجة الأسرار ٢٣٨ ـ ٢٣٧)

الحادية عشر: قال (الإمام الشطنوفى) جمعنا الله تعالى وإياه يوم الحشر تحت لواء الحضرة الغوثية: أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصارى الحلبى قال: سمعت الشيخ العارف أبا إسحاق إبراهيم بن محمود البعلبكى المقرى قال: سمعت شيخنا الإمام أبا عبد الله محمد البطائحى قال: إنحدرت فى حياة سيدى الشيخ محيى الدين عبد القادر رضى الله تعالى عنه إلى أم عبيدة وأقمت برواق الشيخ أحمد رضى الله تعالى عنه أياماً، فقال لى الشيخ أحمد يوماً: أذكر لى مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته. فذكرته شيئاً منها، فجاء رجل فى أثناء حديثى فقال لى: «مه لا تذكر عندنا مناقب غير مناقب هذا» وأشار إلى الشيخ أحمد فنظر إليه الشيخ مغضباً، فرفع الرجل من بين يديه ميتاً ثم قال: «أمن يستطيع وصف مناقب الشيخ عبد القادر؟! ومن يبلغ مبلغ الشيخ عبد القادر؟! وذلك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شا، أغترف. الشيخ عبد القادر لا ثانى له فى عصرنا هذا»

قال: وسمعته يوماً يوصى أولاد أخته وأكابر أصحابه وقد جاء رجل يودعه مسافراً إلى بغداد قال له: «إذا دخلت إلى بغداد فلا تقدم على زيارة الشيخ عبد القادر شيئاً، إن كان حياً، ولا على زيارة قبره إن كان ميتاً، فقد أخذ العهد أيما رجل من أصحاب الأحوال دخل بغداد ولم يزوره سلب حاله ولو

قبيل الموت، ثم قال: والشيخ محيى الدين عبد القادر حسرة على من لم يره (بهجة الأسرار ص٢٣٨) بحرمة جدك عليه ثم عليك الصلاة والسلام

أيها المسلم افهم هذه الروايات الصحيحة واحذر من أن يكون حالك مثل الذى سقط ميتاً نتيجة لغضب السيد الرفاعى على إهانة فى شأن الغوثية الجيلانية والعياذ بالله رب العالمين

أيها المخاطب إعلم أن حب السيادة الغوثية ليس بركن من أركان الإيمان، فى الشريعة ظاهراً حيث يعتبر المنكر لحبه كافراً فى الحال، لأن هذا يخص بشأن الأنبياء فقط، ولكن من عادى لله ولياً فله إيذان الله بالحرب، فإنكار الأولياء الخواص يؤدى إلى إنكار النصوص الإلهية والحرب مع الله فكيف لا تؤدى العداوة مع ولى الله الشيخ عبد القادر إلى الحرب مع الله القادر المطلق وصلى الله تعالى وبارك وسلم على جد الشيخ عبد القادر ثم على الشيخ عبد القادر.

وفى الأخير تود أن تأتى بكلام عالمين من أجلة المشاهير وكبار علماء مكة المكرمة الذين حضروا إلى رحاب ربهم منذ ثلثمائة سنة أولهما الإمام الأجل ابن حجر المكى الشافعى رحمه الله تعالى وثانيهما الإمام العلامة على القارى المكى الحنفى صاحب المرقاة شرح المشكوة وغيره من الكتب الجليلة وأستدل بكلامهما لسببين :

أولاً: لأنه إذا لم يعترف من أمثال الرجلين المجهولين المطرودين الواسطى والقرمانى أحد بمرتبة بهجة الأسرار فلا يمكن له إنكار مكانة هذين العالمين الجليلين الذين هما من أجلة العلماء الكبار بإتفاق أهل العلم

ثانياً: هاتان شخصيتان من أكابر علماء مكة وكلامهما بشأن سيدنا

الغوث الأعظم يعارض فكرة من يقول بأن العرب لا يعترفون بمكانة سيدنا الجيلانى ويعرف كل زائر الحرمين الشريفين عنهم بأنهم لا يكثرون ذكر أحد بعد ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم إلا ذكر الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه أذكر أحد عشر نصاً من كلام هذين العالمين فى هذا الشأن.

الأول: يقول العلامة على القاري الحنفى (المتوفى ١٠١٤هـ) فى كتابه العاطر «نزهة الخاطر الفاتر فى ترجمة سيدى الشريف عبد القادر» لقد بلغنى عن الأكابر أن الإمام الحسن بن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما لما ترك الخلافة لما فيه من الفتنة والآفة عوضه الله سبحانه وتعالى القطبية الكبرى فيه وفى نسله، وكان رضى الله تعالى القطب الأكبر و سيدنا السيد عبد القادر هو القطب الأوسط والمهدى خاتمة الأقطاب» (نزهة الخاطر الفاتر) لاحظوا الحصر فى هذا النص لسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه

الثانى: ورد فى نزهة الخاطر: من مشائخه حماد الدباس رضى الله تعالى عنه ، روى أن يوماً كان سيدنا عبد القادر عنده فى رباطه ولما غاب من حضرته قال: إن لهذا الشاب الشرف قدما يكون على رقاب أولياء، يصير مأموراً من عند مولاه بأن يقول: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله، ويتواضع له جميع أولياء الله فى زمانه ويعظمونه لظهور شأنه الخ

إن سيدنا الشيخ تشرف بمرتبة «المأمور من الله» لاحظوا هذه المرتبة وتواضع جميع الأولياء المعاصرين له، ولاشك فى أن سيدى الرفاعى كان من أولياء عصره.

الثالث: وذكر فيه قول سيدنا الغوث الأعظم قدمى هذه على رقبة كل ولى لله وخضوع الأولياء الحاضرين والغائبين لقدمه المباركة. وذكر إنكار أحدهم وزوال أحواله وقال الإمام على القاري بعد بيان هذه القصة: وهذه بينة مبنية على أنه قطب الأقطاب والغوث الأعظم (نزهة الخاطر)

الرابع: ومن كلامه رضى الله تعالى عنه: بينى وبينكم وبين الخلق كلهم بعدما بين السماء، فلا تقيسونى بأحد، ولا تقيسوا على أحداً (قال العلامة على القاري) يعنى فلا يقاس الملوك بغيرهم وهذا كله فتوح الغيب المبرء من كل عيب (نزهة الخاطر الفاتر)

الخامس: عن عبد الله بن على بن عصرون التميمى الشافعى قال: دخلت وأنا شاب إلى بغداد فى طلب العلم، وكان ابن سقا يومئذ رفيقى فى الاشتغال بالنظامية، وكنا نتعبد ونزور الصالحين وكان رجل ببغداد يقال له: «الغوث» وكان يقال: أنه يظهر إذا شاء ويختفى إذا شاء، فقصدت أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر الجيلانى وهو شاب يومئذ إلى زيارته فقال ابن السقا ونحن فى الطريق: اليوم أسأله مسألة لا يدرى لها جواباً، فقلت: وأنا أسأله مسألة وأنظر ماذا يقول فيه، وقال سيدى الشيخ عبد القادر قدس سره الباهر معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركات رؤيته، فلما دخلنا عليه لم نره فى مكانه فمكثنا ساعة فإذا هو جالس، فنظر إلى ابن السقا مغضباً وقال: ويلك يابن السقا تسألنى عن مسألة لا أدرى لها جواباً؟ هى كذا وجوابها كذا، إنى لأرى نار الكفر تلهب فيك ثم نظر إلى وقال يا عبد الله أتسألنى عن مسألة لتنظر ما أقول فيها؟ هى كذا وجوابها كذا. لتخرن عليك الدنيا إلى شحمتى أذنك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى سيدى عبد القادر فأدناه منه وأكرمه وقال له: يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأنى أراك ببغداد وقد صعدت

على الكرسى متكلما على الملأ، وقلت «قدمى هذه على رقبة كل ولى لله» وكأنى أرى الأولياء فى وقتك حنوا رقابهم إجلالاً لك ثم غاب عنا لوقته فلم نره بعد

قال: فأما سيدى عبد القادر فإنه ظهرت أمارة قربه من الله عزوجل وأجمع عليه الخاص والعام وقال: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله وأقرت الأولياء له فى وقته

وأما ابن السقا فرأى بنت الملك الحسناء ففتن بها وسأل الملك إياها أن يزوجها به فأبى إلا أن يتنصر فأجابه والعياذ بالله تعالى، وأما أنا فجئت إلى دمشق وأحضرنى السلطان نور الدين الشهيد وولانى على الأوقاف فوليتها وأقبلت على الدنيا إقبالا كثيراً قد صدق كلام الغوث الأعظم فينا كلنا «(نزهة الخاطر)

أقول: كان السيد الرفاعى من أولياء عصره وهذه الرواية مذكورة فى بهجة الأسرار (ص٦) بسندين وقد أورد العلامة على القارى أربعين رواية وكلمات كثيرة أخذها من بهجة الأسرار وكذلك كان العلماء الكبار حيث أنهم ظلوا يستندون إلى هذا الكتاب ولكن المحروم مازال محروماً

السادس: ورد فى نزهة الخاطر: قال (سيدنا الغوث الأعظم) رضى الله تعالى عنه: وعزة ربى إن السعداء والأشقياء يعرضون على. وإن بؤبؤ عينى فى اللوح المحفوظ. أنا حجة الله عليكم جميعاً، أنا نائب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووارثه فى الأرض ويقول: الإنس لهم مشائخ، والجن لهم مشائخ، والملائكة لهم مشائخ. وأنا شيخ الكل، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (نزهة الخاطر)

السابع: وقال فيه، روى عن السيد الكبير القطب الشهير سيدى أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه أنه قال: الشيخ عبد القادر بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اغترف. السيد عبد القادر لا ثانى له فى عصرنا هذا، رضى الله تعالى عنه (نزهة الخاطر)

الثامن: قال الإمام ابن حجر المكى الشافعى (المتوفى ٩٧٤م) عن طائفة الأولياء: أنهم قد يؤمرون تعريفاً لجاهل أو شكراً وتحدثا بنعمة الله تعالى كما وقع للشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه، أنه بينما هو بمجلس وعظه وإذا هو يقول: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى فأجابه فى تلك الساعة أولياء الدنيا، قال جماعة: بل وأولياء الجن جميعهم وطأطأوا رؤسهم وخضعوا له واعترفوا بما قاله إلا رجل بأصبهان فأبى فسلب حاله (الفتاوى الحديثية ص٣٧٠

التاسع: وقال منطلقاً فى نفس الموضوع: وعمن طأطأ رأسه أبو النجيب الهروردى وقال: «على رأسى على رأسى» وأحمد الرفاعى فقال: «وحميد منهم» وسئل فقال: الشيخ عبد لقادر يقول كذا وكذا، وأبو مدين فى المغرب (وقال) أنا منهم، اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك أنى سمعت وأطعت وكذا الشيخ عبد الرحيم القناوى مد عنقه وقال: «صدق الصادق المصدوق» انتهى كلامه ورضى الله تعالى عنهم جميعاً» (نفس المرجع السابق ص٣٧٠

العاشر: وقال فى المجال نفسه: ذكر كثيرون من العارفين الذين ذكرناهم وغيرهم أنه لم يقل إلا بأمر إعلاما بقطبيته، فلم يسع أحداً التخلف بل جائنا بأسانيد متعددة عن كثيرين أنهم أخبروا قبل مولده بنحو مائة سنة أنه سيولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم يقول ذلك فتندرج الأولياء فى وقته تحت قدمه (المرجع السابق ص٣٧٠) اللهم لك الحمد صل على محمد وابنه وذريته.

الحادى عشر: وقال من خلال كلامه: وحكى إمام الشافعية فى زمانه أبو سعيد بن أبى عصرون قال: دخلت ببغداد فى طلب العلم فوافقت ابن السقا ورافقته فى طلب العلم بالنظامية وكذا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له الغوث إلى آخر الرواية المذكورة.

وقال الإمام ابن حجر فى الأخير وهذه الحكاية كادت أن تتوافر فى المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم، وقد أضاف الإمام ابن حجر الشافعى إلى هذا كلاماً يشير إلى العاقبة السيئة لابن السقا بأنه كان عالماً جيداً فائقاً على معاصريه فى العلوم الشرعية، وكان حافظاً للقرآن ومناظراً بارعاً، وكان يسكت معارضيه بقوة علمه ولكنه لما طرد بسبب الإهانة فى حضرة الغوثية صار نصرانياً معاذ الله ثم معاذ الله، فافتتن بابنة ملك نصرانى فزوجه الملك ابنته بعدما تنصر ولكنه مرض أخيراً حيث قذفه الملك النصرانى فى السوق إستنكاراً له، بينما كان ابن السقا فى هذه الحالة إذ مربه رجل يعرفه فسأله: كنت حافظاً هل تذكر الآن شيئاً من القرآن؟ قال: لا أذكر غير هذه الآية، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، يقول الإمام أبو عصرون رأيته يوماً كأن جسده محترق بالنار، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فوجهته نحو القبلة ولكنه أستدبر القبلة، فوجهته إلى القبلة مراراً ولكنه إستدار نحو الجهة المخالفة للقبلة فتركته على حاله فمات مستدبراً للقبلة والعياذ بالله تعالى، وكان هذا الرجل فى حياته يردد قول الغوث المهان معترفاً بأن هذه المصيبة كلها رد فعل لإهانة ذلك الولى.

لو سئل أحد لماذا لم يسلم هذا الرجل المرتد؟ فأقول: القرآن يجيب على هذا السؤال بقوله: «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين» وفى سورة أخرى: «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» وورد فى موضع آخر:

ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» والعياذ بالله تعالى.

يقول الإمام ابن حجر فى هذا الصدد: وفى هذه أبلغ زجر وأكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا من تلك الفتنة المهلكة الأبدية التى لا أقبح منها ولا أعظم منها، نعوذ بالله تعالى من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرحيم أن يؤمننا من ذلك ومن كل فتنة ومحنة بمنه وكرمه وفيها أيضاً أتم حث على اعتقادهم والأدب معهم وحسن الظن بهم قدر الإمكان.

يرجو العبد الفقير القادرى (الشيخ أحمد رضا الحنفى) من جميع المسلمين بأن كل ما ذكر سيكون كافياً لأهل الإنصاف والسعادة، ويدعو الله تبارك وتعالى أن يرزق إخوتنا المسلمين توفيق التوقير لسادة الأولياء، ويوفقنا اتباع الحق ويحميهم جميعاً عن مثل عاقبة ابن السقا وحالته المفضحة، وعن مثل حال الذى أساء تجاه الحضرة الغوثية وأبدى حبه المزعوم لفضيلة السيد أحمد كبير الرفاعى رضى الله تعالى عنه، حيث أدته الإساءة إلى المنية المفضحة المذكورة آنفاً وذلك بسبب غضب سيدنا الرفاعى منه.

أيها الأخ المسلم إن اتباع الحق وتصديقه اقتضاء الحب الصادق وإنكار الحق وتكذيبه ليس من متطلبات الحب كما زعمه البعض، وإن المحب الصادق لسيدنا أحمد الرفاعى يجعل أقواله ـ رضى الله تعالى عنه ـ على رأسه وعينه ويفضل من هو المفضل فى نظر شيخه، ويعترف بالشرف والعظمة لمن هو الأرفع فى رأى هذا الولى الجليل.

إن عبد الرازق المحدث الشيعى كان يفضل السيدين الشيخين اسيدنا

أبا بكر وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنهما) على أمير المؤمنين سيدنا على رضى الله تعالى عنه على رغم مذهبه الشيعى، وكان يقول عند السؤال عن سر هذا الأمر: كفى بى وزرا أن أحبه ثم أخالفه، والحقيقة أن الحب المزعوم لأحد من عباد الله الصالحين بصورة التكذيب لعباد الله الصالحين الآخرين يعتبر عداوة للحبيب، والعياذ بالله تعالى، رزقنا الله تعالى حسن الأدب لعباده الصالحين وأماتنا على حبهم وحشرنا فى زمرتهم، آمين آمين آمين، بجاههم عندك يا أرحم الراحمين، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وابنه وحزبه أجمعين إلى يوم الدين عدد كل ذرة ألف ألف مرة فى كل آن وحين إلى أبد الأبدين آمين والحمد لله رب العالمين.

